بسم الله الرحمن الرحيم

لمحةٌ عن الموطأ ومكانته في المذهب المالكي:

تُحدثنا إحدى الروايات عن الإمام مالك ـ رضي الله عنه ـ وكتابه الموطأ وعن بعض الحوافز التي شدَّت من أزره لإبراز هذا الأثر العظيم الذي يُعتبر باكورةَ التدوين ـ في العصر الإسلامي ـ الأثرُ الذي كتب اللهُ له القبولَ وأبقاهُ متداولاً مَرْوياً، يحملهُ من كلّ خلف عُدوله، إنه من الكنز الذي بشَّرتْ به رؤيا قارئ المدينة يحيى ابن أبي كثير ت١٢٩هـ حين قال: أتيتُ المسجد فإذا ناحية من القبر انفرجت وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس والناس يقولون يا رسول الله أعطنا يا رسول الله من لنا؟ فقال لهم: إني كنزت تحت المنبر كنزاً، وقد أمرت مالكاً يقسمه بينكم فاذهبوا إليه [١] وعن هذا الكنز ومظاهر استبحار صاحبه في العلم يقول ـ حسب الرواية ـ مالك: " دخلت على أبي جعفر ت١٥٨هـ [٢] بالغداة حين وقعت الشمس بالأرض، وقد نزل عن سريره إلى بساطه، فقال لي: حقيق أنت بكل خير، وحقيق بكل إكرام، فلم يزل

---

[١] ترتيب المدارك للقاضي عياض ٢/ ١٥٤ مطبعة فضالة ـ المغرب وكشف المغطى في فضل الموطا لابن عساكر ص: ٢٤ دار الفكر ـ بيروت

[٢] يعني: أبا جعفر المنصور الخليفة العباسي، وانظر عن زيارته للمدينة: ابن سعد في طبقاته ٥/٤٦٥دار الكتب العلمية بالسند عن الواقدي ت ٢٠٧هـ عن مالك وأخبار القضاة لأبي بكر محمد بن خلف الضبي "وكيع" ت ٣٠٦هـ ١٨٣/١المكتبة التجارية الكبرى طبعة أولى: ١٣٦٦هـ=١٩٤٧م والمنتظم لابن الجوزي ١٨١/٨ دار الكتب العلمية،

يسألني حتى أتاه المؤذن بالظهر، فقال لي: أنت أعلم الناس، فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين، قال: بلى، ولكنك تكتم ذلك، فما أحد أعلم منك اليوم بعد أمير المؤمنين.[1]

يا أبا عبد الله ضع للناس كتباً، وجنب فيها شدائد عبدالله بن عمر، ورخص ابن عباس، وشواذ ابن مسعود، واقصد أوسط الأمور، وما اجتمع عليه الأمة والصحابة [2] ..." الخ

وفي رواية: ووطئه للناس توطئة. قال مالك: فو الله لقد علمني التصنيف يومئذ ومعنى الموطأ : المسهل الميسر[3].

فمنْ ذلك اللقاء ـ كما تقول الرواية ـ مع أبي جعفر المنصور شرع الإمام مالك في تصنيف (الموطأ) بعد أن قويت عزيمته، فانتخبَ من مروياته ما لَهُ صلةٌ بالفقه من أحاديث الأحكام المعروفة عند علماء أهل المدينة، مما أجمعَ عليه سلفهم واستمرَّ على العمل به خَلفُهم ، وقدْ يسَر الله له ما انتهَجَهُ لأسبابٍ منها : نشأته في المدينة المنورة وطلبهُ العلم بها على حداثة سنه، وأخذه عن الجيل الثاني من رجال المدرسة النبوية ـ تلاميذِ الصحابة ـ ولتسميّة كتابه با"لموطأ" وجهٌ آخرُ يُناسِبُ مضمونَه، ذكره السيوطي ت٩١١هـفقال: «قال مالك:

بيروت ـ ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ١٩٥/١٠ دار الرسالة العالمية ـ دمشق ـ ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣م

[1] ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض ١٧/٢ مطبعة فضالة ـ المغرب

[2] الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون١/ ١١٨دار التراث ـ القاهرة

[3] تاريخ ابن خلدون ٦٨٣/٧ دار الفكر ـ بيروت و٢٤/١

عرضتُ كتابي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة، فكلهم واطأني عليه، فسميته بالموطأ»[1]

وثمةَ سببٌ آخرُ لتأليفه أخرجه ابن عبد البر ت٤٦٣هـ عن المفضل بن محمد بن حرب المدني ت٣٠٨هـ قال: أول من عمل كتابا بالمدينة على معنى الموطأ في ذكر ما اجتمع عليه أهل المدينة عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجَشون ت١٦٤هـ وعمل ذلك كلاما بغير حديث فأُتِيَ به مالكٌ فنظر فيه فقال: ما أحسن ما عمل، ولو كنت أنا الذي عملت ابتدأت بالآثار ثم شددت بالكلام قال: ثم إن مالكا عزم على تصنيف الموطأ فصنفه فعمل من كان بالمدينة يومئذ من العلماء الموطآت، فقيل لمالك: شغلت نفسك بعمل هذا الكتاب وقد شَرِكَكَ فيه الناس وعملوا أمثاله فقال: إيتوني بما عملوا فأُتي بذلك فنظر فيه ثم نبذه، وقال: لتعلمنَّ أنه لا يرتفع من هذا إلا ما أريد به وجه الله تعالى

[1] تنوير الحوالك شرح موطأ مالك١/٦ دار الكتب العلمية ـ بيروت

قال: فكأنما ألقيت تلك الكتب في الآبار وما سمع بشيء منها بعد ذلك يُذكرُ [1]

وكادَ يقتصر في موطئه على شيوخ أهل المدينة لولا ستةً روى عنهم، وهم: أبو الزبير المكي ت١٢٨هـ ، وإبراهيم بن أبي عبلة الشامي ت١٥٢هـ ، وعبدالكريم ابن مالك الجزري ت١٥٢هـ وعطاء بن عبدالله الخراساني ت١٣٥هـ وحميد الطويل البصري ت١٤٣هـ وأيوب السَّختِياني البصري ت١٣١هـ أيضا [2]

والذي يفهم من الروايات المتعددة في هذا الشأن أن مالكا استغرقَ في توطئة الموطأ وتيسيره للناس وقتا ليس بالقصير، وقتا يزيدُ على أربعين سنة نتيجة لتثبته وتحريه في الأحاديث المروية والآثار وعرضها على الكتاب والسنة والإجماع فقد كان معروفاً بالتثبت والتؤدة في أموره كلها

[1] تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك للسيوطي ص: ٦ . ٧ دار الكتب العلمية وترتيب المدارك للقاضي عياض ٧٥/٢

[2] المسوى شرح الموطا للدهلوي ٣٣/١ دار الكتب العلمية . بيروت

قال ابن عبد الواحد ت٢٠٠هـ ـ صاحب الأوزاعي (وهو أحدُ رواة الموطأ[١]) : عرضنا على مالك الموطأ في أربعين يوما، فقال: كتابٌ ألفته في أربعين سنة، قرأتموه علي في أربعين يوما، ما أقل ما تفقهون فيه [٢] وعلى مُقتضى هذه الرواية تكون البداية الفعلية لتأليف الموطأ نحو سنة: ١٣٨هـ ويؤيد ذلك كلام الحافظ ابن عساكرت٤٩٩هـ [٣]

وكتابُ الموطأ لم يكن كتابَ حديث، القصدُ منه الروايةُ فقط، وإنما هو كتابُ استدلالٍ بالحديث على الحكم الفقهي فهو يجمع بين الحديث والفقه، يأتي بالآية من الكتاب العزيز، ثم يذكر الأحاديث الواردة في المسألة الواحدة، فإن لم يجد حديثا صحيحا استدلّ بعمل أهل المدينة، فإن لم يجد تخير من أقوال الصحابة والتابعين، ما يراهُ.

---

[١] مقدمة تحقيق الشيخ: محمد مصطفى الأعظمي للموطأ ٢٢٤/١ مؤسسة زايد للأعمال الخيرية ـ أبوظبي

[٢] المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك لابن العربي ٣٣٧/١ دَار الغَرب الإسلامي

[٣] انظر: كشف المغطى في فضل الموطا ص: ٥٣

عنايةُ الإمام مالك بالموطأ وإخلاصُه فيه:

عُرف عن الإمام مالك رضي الله عنه من الضبط والتحري في روايته مالم يُعرف مثلُه عن غيره ونُقل عنه في ذلك قوله : (من جعل التمييزَ رأس ماله عدم الخسران وكان على زيادة) [١] وقال تلميذه : عبد الله بن وهب ت١٩٧هـ : كان علم الناس يزيد وكان علمُ مالك يَنْقُصُ كلَّ سنةٍ من حديثه [٢].

وقال إِلْكيَاالهَرَّاسيت٥٠٤هـ: إن موطّأ مالك كان اشتمل على تسعة آلاف حديث، ثم لم يزل ينتقي حتى رجع إلى سبعمائة [٣] بل قال القاضي ابن المنتاب . ولي قضاء المدينة للمقتدر الذي ت٣٢٠هـ . :ذُكر أن مالكًا، رضي الله عنه، روى مائة ألف حديث جمع منها في موطّئه عشرة آلاف، ثم لم يزل يعرضها على الكتاب والسنة ويختبرها بالآثار والأخبار ويحذف حتى عادت إلى خمسمائة[٤]

أما في مجال إخلاصه فقد قال ابن عبد البر ت٤٦٣هـ: بلغني عن مُطَرِّف بن عبد الله الأصم ت٢٢٠هـ: . صاحب مالك . قال: قال لي مالك: ما يقول الناس في

---

[١] إسعافُ المبطأ برجال الموطا ص: ١٢ دار الهجرة للطباعة والنشر. بيروت

[٢] الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ١/ ٢٥ دار إحياء التراث العربي . بيروت

[٣] التعليق الممجد على موطأ محمد للشيخ محمد عبد الحي اللكنوي الهندي ٧٣/١ دار القلم . دمشق

[٤] القبس في شرح موطأ مالك بن أنس لابن العربي ١/ ٣٣٢دار الغرب الإسلامي

موطأي؟ فقلت له: الناس رجلان: مُحبٍّ مُطْرٍ، وحاسدٍ مُفْتر، قال لي مالك: إن مُدَّ بك عمر، فسترى ما يُراد به الله.[1]

وشاعت عبارة تلميذه الإمام الشافعي ت١٥٠هـ في الموطأ ، وتناقلها العلماء وهي : "ما على ظهر الأرض كتاب بعد كتاب الله أصحَّ من كتاب مالك" وقوله: إذا جاء الأثر فمالك النجم [2] ولأجل إتقانه وانتقاده للرواة وقوة ضبطه حرص العلماء والمحدثون على حديثه قال الإمام الشافعي : إذا "جاء الحديثُ عن مالك فشُدَّ به يدكَ" [3]

مكانة الموطأ بين كتب الحديث:

لا يخفى على ذي تحصيل علمي ما للموطأ من المكانة، فشهرته، وصحته، وريادته في التدوين باعتباره أقدمَ مؤلفٍ إسلامي يصلنا كاملا بمعظم رواياته

[1] التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد ٨٥/١ ط وزارة الأوقاف ـ المغرب

[2] الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١/ ١٤ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت

[3] المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك ١٢١/١

ونسخه ، إذْ لا يوجد اليومَ كتابٌ من مؤلفات إمام من أتباع التابعين غير الموطأ، فهو أول مؤلف في تاريخ الإسلام تناقلته الأجيال منذ تأليفه إلى الآن قال عنه الإمام محمد أبو زهرة ت١٣٩٤هـ [١]: "أول مؤَلَّف ثابت النسبة من غير شك، ذاع وانتشر في الإسلام ، وتناقلته الأجيال جيلا بعد جيل إلى يومنا هذا .. ويعد الأول في التأليف في الفقه والحديث معا.. إلى قوله: أما التدوين والتأليف الحقُّ فقد ابتدأ بالموطأ".

ومهما علت مكانته فهو جديرٌ بما قيل فيه منْ مدْحٍ لامتيازه بالسند الثُّنائي بين مؤلفه والنبي صلى الله عليه وسلم ولأحاديثه وآثاره المنتخبة من حيثُ شهرتها في مجتمع المدينة واطرادُ العمل بها بين الصحابة وتابعيهم ، ولذلك ـ وغيره ـ تنافس المحدثون ـ قديما وحديثا ـ في روايته وسماعه وإسماعه وجعلوهُ يُنبوع استمدادهم وقطبَ رحا اعتمادهم، قال ابن تيمية ت٧٢٨هـ عن البخاري ت٢٥٦هـ:

[١] مالك حياته وعصره ص ٢٢٢. ٢٢٣ دار الفكر العربي

"أولُ ما يستفتح الباب بحديث مالك وإن كان في الباب شيء من حديث مالك لا يقدم على حديثه غيره ونحن نعلم أن الناس ضربوا أكباد الإبل في طلب العلم فلم يجدوا عالما أعلم من مالك في وقته"[1]

وهكذا حالُ باقي أصحاب الصحاح الستة مع الموطأ قال الشيخ صديق حسن خان القِنَّوُجيت١٣٠٧هـ: وَأعلمُ ـ أَيْضا ـ أَن الْكتب المصنفة فِي السّنَن كصحيح مُسلمت٢٦١هـ وَسنَن أبي دَاوُد ت ٢٧٤هـ والنَّسَائِيّ ت٣٠٣هـ وَمَا يتَعَلَّق بالفقه من صَحِيح البُخَارِيّ وجامع التِّرْمِذِيّ ت٢٧٤هـ مستخرجات على الْمُوَطَّأ تحوم حومه وتروم رومه ومطمح نظرهم فِيهَا وصلُ مَا أرْسلهُ وَرفع مَا أوقفهُ واستدراك مَا فَاتَهُ وَذكر المتابعات والشواهد لما أسْندهُ وأحاطه جَوَانِب الْكَلَام [2]

وكان الإمام المبجل أحمد بن حنبل ت٢٤١هـ شديدَ العناية بالموطأ حريصا على روايته فقد سمعه من تسعةَ عشرَ راوياً عن مالك قال: "كنت سمعتُ الموطأ من بضعة عشر نفسا من حفاظ أصحاب مالك ، فأعدته على الشافعي،

[1] مجموع الفتاوى ٣٢٥/٢٠ نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

[2] الحِطَّة في ذكر الصحاح الستة ص ١٥٩ دار الكتب التعليمية – بيروت

لأني وجدته أقومهم به" [1] وقال حين سئل عن موطأ مالك : "ما أحسنه لمن تديَّن به" [2]

وقال الدهلوي في دوران المحدثين حوله إنّ :"مُسند الدارميت٢٥٥هـ إنما صنف لإسناد أحاديث الموطأ وفيه الكفاية لمن اكتفى" [3]

ومعلوم أن المحدثَ عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي ، كان ـ في عصره ـ أحدَ حفاظ الدنيا الأربعة [4] وقد وُلدَ:١٨١هـ ـ بسنتين بعدَ وفاة الإمام مالك ـ وروى عن الجيل الثالث بعدَ الصحابة وهم: أتباع التابعينَ [5]

---

[1] الإرشاد في معرفة علماء الحديث لأبي يعلى الخليلي القزويني١/ ٢٣١مكتبة الرشد – الرياض و: أثر الإمام مالك وموطئه على الصحيحين وسنن أبي داود والترمذي د، عبد الرحمن الصاعدي ص: ٣٣ مجلة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية السنة الخامسة العدد٨ ـ ١٤٣٧هـ

[2] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم ٣٢/٦ مطبعة السعادة ـ مصر كشف المغطى في فضل الموطا ص: ٦٠

٣ المسوى ٦٤/١ دار الكتب العلمية ـ بيروت

٤ سير أعلام النبلاء ٢٢٦/١٢مؤسسة الرسالة

٥ انظر مقدمة الزهراني لتحقيق مسند الدارمي ١٩/١و٢٠ ط ١٤٣٦هـ

وفي استمداد أصحاب المذاهب الثلاثة من الموطأ يقول الشيخ ولي الله الدهلوي ت١١٧٦هـ: "الموطأ عُدة مذهب مالك وأساسه وعمدة مذهب الشافعي وأحمد ورأسه ومصباح مذهب أبي حنيفة ت١٥٠هـ وصاحبيه ونبراسه وهذه المذاهب بالنسبة إلى الموطأ كالشروح للمتون وهو منها بمنزلة الدوحة من الغصون وإن الناس وإن كانوا من فتاوى مالك في رد وتسليم وتنكيت وتقويم ما صفا لهم المشرب ولا تأتَّى لهم المذهب إلا بما سعى في ترتيبه واجتهد في تهذيبه قال الشافعي: "ليس أحد أمَنَّ عليَ في دين الله من مالك" [١] ويُفسِّرُ كلام الدهلوي ما نقل البويطي ت٢٣١هـ عن الشافعي قال : سمعت الشافعي يقول : أصول الأحكام نَيِّفٌ وخمسمائة حديث كلها عن مالك إلا ثلاثين حديثا [٢]

ويفسر ما أشارَ إليه الدهلوي اجتماعُ أبي حنيفة بمالك في مواسم الحج والزيارة وروايته عنه [٣] كما روى صاحباهُ عنه خاصةً محمد بن الحسن الشيباني ت ١٨٩هـ ناشر المذهب الحنفي ومدونُه في كُتبه ، وروايته للموطأ مشهورة متداولةٌ، مرجوع إليها في كتب الحنفية.

وقد ظلّ الموطّأ مُحتفظاً بمكانته ـ بعدَ ظهور الصحيحين ـ يصفه الحفاظُ بما وصفه به الإمام الشافعي من الدرجة القُصوى في الصحة إلى عهد أبي علي

---

[١] المسوى ٦٣/١ والحطة في ذكر الصحاح الستة ص ١٥٨

[٢] الإرشاد للخليلي ١٩٤/١النكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي ١٧٨/١أضواء السلف – الرياض والسيوطي في شرح ألفيته الحديثية٢/ ٧٥٩مكتبة الغرباء الأثرية ـ السعودية

[٣] إصلاح كتاب ابن الصلاح للحافظ مغلطاي بن قَليج ٥٢/٢ دار أضواء السلف ـ الرياض

النيسابوري ت٣٤٩هـ . من القرن الرابع الهجري . الذي قال بتقديم البخاري ونسبَ ذلك إلى شيخه الإمام النسائيت٣٠٣هـ [١] ثم جاء بعده ابن حزم الظاهري ت ٤٥٦هـ فجعله تالياً لجُملةٍ من كتب الصحاح والمسانيد ، وتعقبه

الحافظ الذهبيت٦٧٣هـ في تصنيفه للموطأ فقال: "ما أنصف ابن حزم .... إن (للموطأ) لوقعاً في النفوس، ومهابةً في القلوب لا يوازنُها شيء"[٢].
وقد ذهب ابن الصلاح ت ٦٤٣هـ إلى رأي النيسابوري في تقديم الصحيحين [٣] وتعقَّبه شارحه الحافظ : مُغْلَطايَ بن قِلِيج ت ٧٦٢هـ [٤] ووافقه في تقديم الصحيحين الحافظُ: ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ فنتجَ عن ذلك ما يُمكنُ حصرهُ في ثلاث اتجاهات هي:

[١] مقدمة فتح الباري ٨/١ دار المعرفة . بيروت

[٢] سير أعلام النبلاء ٢٠٣/١٨ مؤسسة الرسالة

[٣] مقدمة ابن الصلاح ص: ١٨ دار الفكر- سوريا

[٤] إصلاح كتاب ابن الصلاح ٦٢/٢ أضواء السلف

الاتجاه الأول

تقديمُ الموطأ على كتُب الحديث جميعها

يذهبُ أصحاب هذا الاتجاه مذهبَ الإمام الشافعي في قوله : "ما على وجه الأرض ـ بعد كتاب الله ـ أصحَّ من كتاب مالك" [1] والإمام عبد الرحمن بن مهدي ت ١٩٨هـ القائل : «ما كتاب بعد كتاب الله أنفعَ للناس من الموطأ» والإمام عبدالله بن وهب ت١٩٧هـ القائل : «من كتب موطأ مالك فلا عليه أن يكتب من الحلال والحرام شيئاً» والحافظ أبي زرعة الرازي ت ٢٦٤هـ في قوله : لو حلف رجل بالطلاق على أحاديث مالك التي بالموطأ أنها صحاح كلها لم يحنث، ولو حلف على حديث غيره كان حانثاً [2]

والإمام الترمذي ت٢٧٩هـ القائل في جامعه : قال يحيى ت١٩٨هـ : ما في القوم أحد أصح حديثا من مالك بن أنس [3] وابن شعبان محمد بن القاسم المالكي ت٣٥٥هـ تلميذ الإمام النسائي ـ[4]والحافظين :حافظ المغرب : ابن عبد البر القائل : «الموطّأ لا مثيل له ولا كتاب فوقه بعد كتاب الله تعالى عز

---

[1] توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار لمحمد بن إسماعيل الصنعاني ١/١٥٠دار الكتب العلمية بيروت– لبنان ومسند الموطأ للجوهرجي ص: ١١٠دار الغرب الإسلامي

[2] ترتيب المدارك ٢/٧٦

[3] جامع الترمذي ٦/ ٢٤٦ دار الغرب الإسلامي – بيروت

[4] الزاهي في أصول السنة لابن شعبان ١/٥١. ٥٢ دار التوحيد للنشر والموطأ بتحقيق محمد مصطفى الأعظمي ١/١٢١مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية – أبو ظبي

وجل»[1] وحافظ المشرق : أحمد بن علي : الخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ في قوله : «وأما موطأ مالك بن أنس فهو المقدم في هذا النوع ويجب أن يبتدأ بذكره على كل كتاب لغيره» [2] وأبو بكر ابن العربي المالكي ت٤٥٣هـ في قوله: «كتاب الجُعْفي (أي: البخاري) هو الأصل الثاني في هذا الباب، والموطّأ هو الأول واللباب وعليهما بناء الجميع كالقُشَيْري والتِّرْمِذِي ت٢٧٩هـ فما دونهما».[3]

والقاضي عياض بن موسى اليحصبي ت٥٤٤هـ فهو القائل:

إذا ذُكرتْ كتب العلوم فخيرها ... كتاب الموطا من تصانيف مالك

أَصحُّ أحاديثاً وأثبتُ سُنَّةً ... وأوضحها في الفقه نهجاً لسالك[4]

والحافظ مُغَلْطَايَ الحنفي ت٧٦٢هـ وابن لِيُون التُّجِيبي ت٧٥٠هـ والسيوطي والشيخ صالح الفُلَّاني ت ١٢١٨هـ والشيخ ولي الله الدهلوي القائل:" لقد انشرح صدري وحصل لي اليقين بأن الموطأ أصح كتاب يوجد على وجه الأرض بعد كتاب الله، كذلك تيقنت أن طريق الاجتهاد وتحصيل الفقه بمعنى معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية مسدود اليوم على من رام التحقيق إلا من وجه واحد، وهو أن يجعل المحقق الموطأ نصب عينيه، ويجتهد في وصل مراسيله ومعرفة مآخذ أقوال الصحابة والتابعين، بتتبع كتب أئمة

---

[1] التقصي ص: ٩ وانظر: الاستذكار ١٢/١ دار الكتب العلمية والتمهيد١/ ٧٠

[2] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١٨٥/٢مكتبة المعارف – الرياض

[3] عارضة الأحوذي بشرح الترمذي ١/ ٥ دار الكتب العلمية . بيروت

[4] ترتيب المدارك ٧٩/٢

المحدثين ثم يسلك طريق الفقهاء المجتهدين في المذاهب من تحديد مفهوم الألفاظ وتطبيق الدلائل وتبيين الركن والشرط والآداب، واستخلاص القواعد الكلية الجامعة المانعة، ومعرفة علل الأحكام، وتعميمها وتخصيصها، وفقاً لعموم العلة وخصوصها، وأمثال ذلك" [1] و قال ـ أيضا ـ :" كتاب الموطأ أصح كتب الفقه وأشهرها وأقدمها وأجمعها، وقد اتفق السواد الأعظم من الملة المرحومة على العمل به، والاجتهاد في روايته دراسته، والاعتناء بشرح مشكلاته ومعضلاته ،والاهتمام لاستنباط معانيه و تشييد مبانيه، ومن تتبّع مذاهبهم ورزق الإنصاف من نفسه علم لا محالة أن الموطأ عدة مذهب مالك وأساسه، وعمدة مذهب الشافعي وأحمد ورأسه، ومصباح مذهب أبي حنيفة وصاحبيه ونبراسه، وهذه المذاهب بالنسبة للموطأ كالشروح للمتون، وهو منها بمنزلة الدوحة من الغصون"

ـ إلى قوله ـ : وعُلم أيضاً أن الكتب المصنفة في السنن كصحيح مسلم، وسنن أبي داود، والنسائي، وما يتعلق بالفقه من صحيح البخاري وجامع الترمذي مستخرجات على الموطأ تحوم حومه وتروم رومه، مطمح نظرهم فيها وصل ما أرسله ورفع ما أوقفه، واستدراك ما فاته وذكر المتابعات والشواهد لما أسنده، وإحاطة جوانب الكلام بذكر ما روى خلافه، وبالجملة فلا يمكن تحقيق الحق في هذا ولا ذاك إلا بالإكباب على هذا الكتاب"[2]

---

[1] المسوى ص١٩، ترجمة مقدمة المصفى بالعربية، المنشورة في مستهل كتاب المسوى بعنوان: تسهيل دراية الموطا ومقدمة أوجز المسالك للكاندهلوي ١٦/١ دار القلم ـ دمشق

[2] المسوى ص ٥٠ ـ ٥١طبع لكناؤ ١٣٣٤هـ

وقبل هؤلاء ابن الأثير ت٦٠٦هـ في جامع الأصول [1] والحافظ عبد العظيم المنذري ت ٦٥٦هـ في الترغيب والترهيب [2]حيثُ يذكرُه ثم يعطِفُ عليه الصحيحين أو أحدهما واستمرّ على هذا الاتجاه من كلّ قرن محدثون، منهم في القرن الرابع عشر: الشيخ المحدث صديق حسن خان القِنَّوُجي ت ١٣٠٧هـ [3]والشيخ المحدث : محمد حبيب الله بن مَايَابَى الشنقيطي ت ١٣٦٣هـ [4] والشيخ المحدث محمد الطاهر بن عاشور التونسي [5] ت ١٣٩٣هـ والشيخ المحدث المسندُ : عبدالحق الهاشمي المكي ت ١٣٩٦هـ القائل: « وأنا أقدمُ من كتب الحديث الموطأ والصحيحين وليس في الموطأ حديث إلا وهو موجود في الصحيحين ـ إلا أحاديثَ قليلة» [6]

---

١) ١/٦٣دار الفكر

٢ إضاءة الحالك من ألفاظ دليل السالك ص ٦ دار البشائر الإسلامية وانظر: الترغيب والترهيب وصنيع الحافظ المنذري فيه

٣ الحطة في ذكر الصحاح الستة ص: ١٤٩

٤ إضاءة الحالك من ألفاظ دليل السالك ص: ٤

٥ كشف المغطا شرح الموطا ١/٣٨ دار سحنون

٦ هذه عقيدتي ص: ١٥٥ من الثبت الكبير ـ دار لبنان للطباعة والنشر تحقيق: بدر بن طامي العتيبي

الاتجاه الثاني

جعلُ الموطأ بعدَ الصحيحين

ذهب متأخروا المحدثين وجمهورٌ منهم إلى هذا المنحى يتقدمهم أبو عمرو ابن الصلاح وتابعه على رأيه غالبُ شارحي مقدمته في مصطلح الحديث ومُلخصيها حتى أصبح رأياً معتمداً وقولاً مُعتقداً عند الحافظ الذهبي في قوله : رُتبة الموطأ أن يذكرَ تِلْوَ الصحيحين [1]والحافظ العراقي[2] (ت٨٠٦هـ) والحافظ ابن حجر العسقلاني ومدرسته التي امتدّ إشعاعها عَبرَ قرون عدة فقد نقل عبارة الحافظ النيسابوري : (ما في هذه الكتب كلها أجودَ من كتاب محمد بن إسماعيل) [3]

---

[1] سير أعلام النبلاء ٢٠٣/١٨ مؤسسة دار الرسالة

[2] فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للسخاوي ٤١/١ مكتبة السنة ـ مصر

[3] انظر مقدمة فتح الباري لابن حجر ٨/١ دار المعرفة ـ بيروت

الاتجاه الثالث

اعتبار الموطأ دون الصحيحين وسائر كتب السُّنن

وقد تفرّدَ بهذا الرأي ابن حزم الظاهري ونصُّ كلامه : "أوْلى الكتب بالتعظيم صحيحا البخاري ومسلم وصحيح ابن السكن ت٣٥٣هـ ومنتقى ابن الجارود ت٢٩٩هـ والمنتقى لقاسم بن أصبغ ت٢٤٤هـ ثم بعدها كتاب أبي داود وكتاب النسائي والمصنف لقاسم بن أصبغ ت٢٤٤هـ ومصنف أبي جعفر الطحاوي" ت٣٢١هـ قلت ـ القول للذهبي ـ : ما ذكر سنن ابن ماجة ولا جامع أبي عيسى فإنه ما رآهما ولا أدخلا إلى الأندلس إلا بعد موته ثم قال : "ومسند البزارت٢٩٢هـ ومسند ابن أبي شيبة ت٢٣٥هـ ومسند أحمد بن حنبل ومسند إسحاق ت٢٣٨هـ ومسند الطيالسي ت٢٠٤هـ ومسند الحسن بن سفيان ت٣٠٣هـ ومسند ابن سنجرت ٢٥٨هـ ومسند عبدالله ابن محمد المسندي ت٢٢٩هـ ومسند يعقوب بن شيبة ت٢٦٢هـ ومسند علي ابن المديني ت٢٣٤هـ ومسند ابن أبي غرزة ت٢٧٦هـ وما جرى مجرى هذه الكتب التي أفردت لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم صرفا ثم الكتب التي فيها كلامه وكلام غيره مثل مصنف عبدالرزاقت٢١١هـ ومصنف أبي بكر بن أبي شيبة ت٢٣٥هـ ومصنف بَقيّ بن مَخلَد ت ٢٧٦هـ وكتاب محمد بن نصر المروزي ت٢٩٤هـ وكتاب ابن المنذرت ٣١٩هـ الأكبر والأصغر ثم مصنف حماد بن سلمة ت١٦٧هـ وموطأ مالك بن أنس" [١] وقد ردَّ كلامَه ـ بعدما أورده ـ الحافظ الذهبي .

[١] سير أعلام النبلاء ٢٠٣/١٨

نُسخ الموطأ والرواة عن مالك

الرواة عن الإمام مالك، كثيرون لا يحصرهم كتابُ حافظ ذكر منهم الحافظ الخطيب البغدادي وابن رَشيد العطارت٦٦٢هـ . والمستدرِكُ عليهما . : ألفا وخمسمائة وثمانين وستةَ رواة [١] وقد أفرد بعضُ العلماء بالتأليف رواة الموطأ عن مالك منهم : الحافظ المحدث محمد ابن أبي بكر المعروف : بابن ناصر الدين الدمشقي ت٨٤٢هـ وكتابه: إتحافُ السالك برواة الموطأ عن الإمام مالك ذكر فيه تسعة وسبعين راوياً للموطأ وعدّ منهم الشيخ محمد مصطفى الأعظمي ت١٤٣٩هـ في مقدمة تحقيقه للموطأ مائةَ راو[٢]

[١] انظر: مجرد أسماء الرواة عن مالك، ليحيى ابن عبد الله القرشي

[٢] الموطأ بتحقيق الشيخ محمد مصطفى ١/ ١٩٠. ٢٢٤

بعض نسخ الموطأ المشهورة

قال القاضي عياضت٥٤٤ هـ: "والذي اشتهر من نسخ الموطأ عنه، مما رويته أو وقفت عليه، أو كان في رواية شيوخنا، أو نقل عنه أصحاب اختلاف الموطآت نحواً من عشرين نسخة، وذكر بعض الفضلاء أنها ثلاثون" [1]

أ – نسخة يحيى بن يحيى الليثي (ت ٢٣٤هـ) وإذا أطلق الموطأ فالمراد هذه النسخة ومما يدلك على اهتمام العلماء بالموطأ ما ذكره الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي من أن موطأ الإمام يحيى بن يحيى الليثي قد بلغت شروحه ـ على حدةٍ ـ نحو مائة شرح قال:

وبلغتْ شروحه نحوَ المائهْ فكلها عمّا حواهُ مُنْبئهْ. [2]

[1] ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض ٨٩/٢ وانظر: إضاءة الحالك ص : ٤٠

[2] إضاءة الحالك ص: ١٢

النسخة الكويتية من الموطأ:

للكويت صلةٌ قديمةٌ بالمذهب المالكي يناهزُ تاريخُها المعروفُ أربعةَ قرون ، وقد كان ـ ولا زال ـ المذهبَ الرسمي لكثير من أهلها وأسرها العريقة مُتداولا فيما بينهم يرويه خلف عن سلف ، ولا أدلّ على ذلك ـ بعد الواقع ـ من كون أقدم مخطوطٍ ظَفِرَ به الباحثون عن تاريخ هذه البلاد كانَ نسخة الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي بخطّ فاضل كويتي مالكي من أهل فيلكا اسمه :مُسيعيد بن أحمد بن مساعد بن عبد الله بن سالم المالكي دبَّجتها يَراعُه في محرم من عام ١٠٩٤هـ وقدْ ظلَّ رُكْن المذهب المالكي قائماً في فيلكا حيثُ كانت على موعدٍ ـ بعدَ ستة وثمانين عاما من التاريخ المذكور ـ مع ميلاد أحد أعلامها المالكيين وهو: العالم الشهير صاحبُ المؤلفات العديدة والمنظومات الفقهية واللغوية المفيدة : الشيخ عثمان بن سند الوائلي المالكي الكويتي المولود في فيلكا سنة١١٨٠هـ ت ١٢٤٢هـ

ب ـ نسخة عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري القرشي مولاهم (ت ١٩٧هـ). طبع بعضها ـ دار ابن الجوزي ١٤٢٠هـ ـ

ج نسخة أبي عبدالله عبدالرحمن بن القاسم العُتَقي (ت ١٩١هـ) ونُقل عن النسائي أنه أثبت أصحاب مالك.[١] ط المجمع الثقافي ـ أبوظبي ١٤٢٥هـ ـ

د – نسخة أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة القَعْنَبي (ت ٢٢١هـ) يختارها الإمام أبو داوود في سننه ـ غالباً

قال يحي بن معين: أوثق الناس في (الموطأ): القعنبي، ثم عبد الله بن يوسف يعني: التنيسي الآتي ذكره ـ ط جمعية دار البر: دُبَي ـ

هـ نسخة عبد الله بن يوسف التِّنِّيسي (ت ٢١٨هـ). يختار منها الإمام البخاري في صحيحه ـ غالباً ـ

---

[١] الديباج المذهب لابن فرحون ٤٦٦/١ دار التراث للنشر ـ القاهرة

و - نسخة أبي مصعب أحمد بن أبي بكر القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري قاضي المدينة (ت ٢٤٢هـ). وهو من أحدث الناس سماعاً من مالك قال ابن حزم: آخر ما رُوي عن مالك موطأ أبي مصعب وموطأ أبي حذافة ت٢٥٩هـ وفيهما زيادة على الموطآت نحو من مائة حديث[١] ط مؤسسة الرسالة : ٢٠١٧م

ز. نسخة مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام (ت٢٣٦هـ).

ح . نسخة محمد بن الحسن الشيباني صاحب الإمام أبي حنيفة (ت ١٨٩هـ). ط

ط. نسخة يحيى بن يحيى التميمي النيسابوري ت ٢٢٦هـ وقد اختار مسلم روايته للموطأ في صحيحه (غالبا)

١ تذكرة الحفاظ للذهبي ٥٣/٢ دار الكتب العلمية بيروت

ي ـ نسخة عبد الرحمن بن مهدي ت ١٩٨هـ رواها عنه الإمام أحمد بن حنبل وضمَّنَ مُسندهُ كثيرا منها

أي ـ نسخة يحيى بن عبد الله بن بُكير المصري ت ٢٣١هـ

يب ـ نسخة: قتيبة بن سعيد ت٢٤٠هـ وقد اختار روايته للموطأ النسائي في سننه (غالبا) إلى غير هذا من النسخ

عدة أحاديث الموطأ

قال أبو بكر الأبهري ت٣٧٥هـ : جملة ما في الموطأ من الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين ألف وسبعمائة وعشرون حديثاً، المسند منها ستمائة حديث، والمرسل مائتان واثنان وعشرون حديثاً، والموقوف ستمائة وثلاثة عشر، ومن قول التابعين مائتان وخمسة وثمانون [١] وقد يختلف عددها بتعدد الروايات عن الإمام مالك وتفاوتها في النقصان والزيادة

[١] تنوير الحوالك ٩/١ دار إحياء الكتب العربية بمصر